

((رجل ذو هممة يحي الأمة))

لم تكن الرجال يوماً صنيعة الحضارات، إنما كانت الحضارات من صنع الرجال، فلولا الرجال (ولست أعني بالرجل من طال شاربه وعرض كتفه وقوي زنده) إنما أعني بالرجل حسب المصطلح القرآني، الرجل الذي يصنع الحياة ويدافع عن الناس ولولا هذا النوع من الناس لما صنعت الحياة ولا بنيت المصانع ولا حميت الأوطان ولا ارتفع البنيان ولما تمكن في القلوب إيمان.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يصف ذلك الإنسان الذي جاء يسعى إلى قومه ينصحهم ويهديهم لسواء السبيل وصفه القرآن — (الرجل) فقال عز وجل في سورة يس ((وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون)) ولم يذكر القرآن اسم الرجل ولا هويته ولا شكله إنما اكتفى بوصفه بالرجولة، وذلك لأنه أراد أن يجمع فيه صفات الإنسان الحقيقي حينما أراد أن يحيي الإيمان في قلوب بني الإنسان ويرتقي بهم إلى قمة الإيمان بالله عز وجل.

وفي مشهد آخر يصف القرآن أنساناً آخر بالرجولة حينما قال عز وجل ((وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين)) ونلاحظ هنا أن البيان القرآني يأتي بالفاعل بعد الفعل مباشرة بخلاف ما ذكر عن ذلك الرجل في سورة يس حيث آخر الفاعل بعد الجار والمجرور وذلك لأن مؤمن آل فرعون قد اشترك مع المؤمن في سورة يس بالمعاني العظيمة للرجولة وزاد عليها التضحية بنفسه لينقذ نبياً من القتل ويعرض نفسه للهلاك فهو حافظ على الإيمان وحافظ على إنسان من القتل وأي إنسان إنه نبي الله موسى عليه السلام هذه الرجولة باختصار حسب المصطلح القرآني.

ألا نحتاج إلى رجال بهذا المعنى؟ نعم فقد جلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً في بيت من بيوت المدينة وحوله ثلة من أصحابه فقال لهم تمنوا: فقال احدهم: أتمنى أن يكون لي مائة هذه الدار ذهباً وفضة أنفقها في سبيل الله، وقال آخر: أتمنى لو أن لي مائة المدينة خيولاً أجاهد بها في سبيل الله، وقال ثالث أتمنى أن يكون لي مائة المدينة عبيداً أعتقهم في سبيل الله، وعمر ينصت لهم فقالوا يا أمير المؤمنين فماذا تتمنى أنت؟ فقال عمر: أما أنا فأتمنى أن يكون لي رجال مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة أستعين بهم على إعلاء كلمة الله.

فهذا أمير المؤمنين عمر وإله العدل كما يسميه الألمان ما تمنى مصانع ولا حضارات ولا مال ولا سلاح إنما تمنى رجالاً لأنه يعلم أن من يصنع الحضارات ويبني المصانع وينمي المال ويقاوم بالسلاح ويعلم المناهج ويحفظ الأمن ويطبق القانون

إنما هم الرجال فمن صنع رجلا صنع حضارة ومن بنى إنسانا بنى أجيالا ومن هدم إنسانا هدم حضارته ومصانعه فلا تكتمل المشاريع إلا بالرجال ولا يقتل السلاح إلا بالرجال ولا يحفظ الأمن إلا بهم ولا يهدى الناس إلا بحكمتهم وقديما قالوا (رجل ذو همة يحيى الأمة) وكم من رجال أحيا الله بهم شعوبا متناثرة وأعز بهم الدين ورفع على أيديهم شأن العباد والبلاد، وفي أمتنا الكثير من أولئك الرجال أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة وآل البيت وعمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والغزالي والجنيد والشيخ عبدالقادر وابن تيمية والعز بن عبدالسلام وابن رشد ونور الدين وصلاح الدين وغيرهم كثير، كل واحد منهم كان صاحب همة ينفت من خلالها الروح في حياة الأمة ويربي أجيالها وكل واحد منهم يعادل شعبا بأسره وأمة بجالها.

يذكر تاريخنا لما حاصر خالد بن الوليد الحيرة وطلب من أبي بكر الصديق مددا ، فأرسل له رجلا واحدا وهو القعقاع بن عمرو التميمي فتعجب خالد فقال أين المدد؟ فقدم له القعقاع كتاب الخليفة فقرأه فإذا فيه (إن جيشا فيه القعقاع بن عمرو لا يهزم أبدا) ولما بدأت المعركة نازل أمير الروم خالد وطلب الرومي من حارسه أن يطعن خالدا من وراءه فلما هم الحارس لطعن خالد رآه القعقاع من بعيد فرماه بخنجر فقتله، فقال خالد: صدقت يا أبا بكر، هذا النوع من الرجال هم الذين تعز بهم الأمة ويحيى بهم المجتمع ويربي في محرابهم الأجيال وليس الرجال الذين يملؤون البطون والجيوب ولا يلتفتون لأمر الأمة وإعانة الضعيف ولقد قال احد المستشرقين يوم قرأ عن الإسلام ونظر إلى واقع المسلمين الأليم قال: يا له من دين لو كان له رجال. فلعمري لو هبى للإسلام رجال كأولئك الرجال لكان خيرا من ألف ممن ينتسبون إليه اليوم ولا يعرفون أي شيء عنه وربما لم يفكروا يوما أن يقدموا له شيء نحن بحاجة إلى رجل ذو همة لكي يحيى الأمة.